اللُّغَة العَرَبيّة في كيرالا

الدكتور إى . كى . أحمد كُتّي .

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت .

كيرالا ، الهند

إنّ للغة العربية وثقافتها لشأناً رفيعاً ، ومكانةً مرموقةً ومنزلة ممتازة في كيرالا[1] قلّما حظيت بمثلها في أي بلد من بلاد العالم خارج الأقطار العربية . وكفى أهل كيرالا فخراً أن دراسة هذه اللغة المباركة الطيبة قد صارت جزءاً لا يتجزأ من النظام التربوي في هذه الولاية ، فهي تدرس من المستوى الابتدائي إلى مستوى الدكتوراه .

وإن هذا التقدم العجيب الباهر في مجال دراسة اللّغة العربية في كيرالا لم يُنْجز في يوم واحد ، بل جاء نتيجة تطوّرٍ طويل مستمر تمّ خلال القرون . وإني أُريد في هذه المقالة أن أحكي قصة هذا التطوّر حكاية مجملة أشد الإجمال .

أول عهد كيرالا باللّغة العربيّة :

من الحقائق التاريخية التي لا غُبار عليها أن كيرالا من جنوب الهند كانت لها علاقات تجاريّة بالبلاد العربية من قديم الزمان ونقرأ في كتب التاريخ أنّ اليمن القديمة كانت لها صلات تجارية مع مليبار وكانت سفنها تحمل المتاجر الثمينة من مليبار إلى مصر والرّوم وغيرها من البلاد البعيدة .

---

(١) كيرالا (KERALA) احدى ولايات الهند الاثنين والعشرين ، وهي أصغرها مساحة ، تقع في أقصى جنوب الهند . ويبلغ عدد سكّانها ٢١ مليونا والمسلمون منهم ١٩ ٪ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيُستنتج من هذا أن كيرالا كانت قد اتصلت باللّغة العربيّة من عهد قديم جداً قبل قرون لدخول الاسلام في كيرالا . ومن المحتمل أنّ يكون أهل ملبار خصوصاً السّاحليّين منهم ، في ذلك العهد البعيد . قد أخذوا شيئاً من اللّغة العربيّة عند معاملاتهم التجارية مع العرب .

بعد الاسلام :

ثُم جاء الاسلام في كيرالا وأخذ نوره يسطع في آفاقها . فزاد أهل كيرالا معرفة باللغة العربيّة ورغبة فيها وارتباطاً بها . ولا ندري بدقة متى دخل الاسلام في كيرالا . هل وصل إليها في مُدة حياة النبي ﷺ نفسها ، أو بعد ذلك ؛ وهُناك اختلاف بين العلماء والمؤرّخين في هذا الأمر ؛ على أنهم لا يشكّون في أن المسلمين قد صاروا أمة مستقلّة بذاتها في كيرالا . في القرن التاسع الميلادي ، كما نستطيع أن نقتبس من « تُحفة المجاهدين » للشيخ المخدوم زين الدّين وغيرها من كتب الثقات[٢] . ومن ثم نرى أنّ للعناية باللّغة العربيّة وتطوّرها في كيرالا تاريخاً طويلاً لا يقلّ عن ألف سنة . فضلاً عن مُدّة عهد كيرالا بها قبل الإسلام

وكُلّما زاد الإسلام انتشاراً في كيرالا وزاد عدد الذين اعتنقوه من أهلها ازدادت اللّغة العربيّة رواجاً وشيوعا في أرجائها ، لأنّ اللّغة العربيّة هي لُغة الإسلام والقُرآن ، ولا يستطيع مسلم أن يستغني عنها إذا أراد أن يعيش مسلماً . فلذلك أقبل المسلمون الأوّلون في كيرالا على أن يتعلّموا لُغة دينهم بمزيد من الاهتمام والرّغبة .

---

(٢) للبحث المفصّل عن هذا الموضوع راجع

ISLAM IN KERALA BY PROF. SYED MOHIDEEN SAAH

(THE MUSLIM EDUCATIONAL ASSOCIATION, TRICHUR)

P P. 1 - 16

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكان هناك عامل قويّ اخر ساعد على نفاق سُوق اللّغة العربيّة في كيرالا . وهو أن كثيراً من العرب وأسرهم نزلوا مواضع مختلفة من سواحل كيرالا واستوطنوها واتخذوها داراً لهم وأسسوا فيها الجاليات والأسواق والمساجد كما يُخبرنا به الرّحّالون المشاهير الذين زاروا كيرالا وجالُوا فيها في قديم الزمان كابن بطوطة[٣] .

ولعلّ هذا الاستيطان العربيّ قد بدأ منذ أوّل دخول الاسلام في كيرالا إن لم يكن قبل ذلك : لأنّا نقرأ في كتب التاريخ أنّ بعض الرجال كمالك بن حبيب وأبنائه من أوائل دُعاة الإسلام الذين جاءوا الى كيرالا من العرب تحت رئاسة مالك بن دينار لم يرجعوا إلى أوطانهم ، بل قاموا في كيرالا واتخذوها داراً لهم[٤] . وحذا حذوهم أخرون من العرب . وشهدت القرون المتعاقبة مزيداً من استيطان العرب في أرجاء كيرالا . وبعض هذه الأسر العربيّة المستوطنة لا تزال باقية في كيرالا إلى الآن منها الأسرة البافقيّة (Fafaqi Family) بكُويلانْدي (Quilandy) والأسرة المَخْدومية (Makhdoom Family) بفنان (Ponnani) .

ونال هؤلاء العرب المستوطنون حظوة عظيمة عند أهل كيرالا وملوكها . وإن العلاقات الوُدّيّة العميقة التي كانت قائمة بين ساموترى (Zamorin) ملك كاليكوت (Calicut) والعرب في مُليبار أشهر من أن تذكر ومما يدل على المكانة المتازة التي تمتّع بها العرب في كيرالا القديمة تلك الصفيحة النحاسيّة التي تُسمّى بالصفيحة النحاسية بترسَفَلّي (Tarisappalli copper plade) التي أصدرها ملك كيرالا سْتَهانُروي (Sthanuravi) في سنة ٨٤٩ م وهي تتعلّق بهبة قطعة من الأرض لترسفلّى ، أي كنيسة تريسا (Teresa church) بكولم (Quilon) .

---

(٣) رحلة ابن بطوطة (دار صادر - بيروت ١٩٦٣) ، ص ٥٦١ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ .

(٤) KERALA MUSLIM DIRECTORY (KERALA PUBLICATIONS, COCRIN 1960) PP. 127. 128 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهذه الصفيحة تشتمل على أسماء أحد عشر رجلاً من العرب وتوقيعاتهم بالخطّ العربي الكوفي كانوا شهوداً على هذه الهبة[٥] وهذا هو أول نقش عربيّ اكتُشف في كيرالا . وإنه لا يُثبت وجُود العرب في كولم بكيرالا في القرن التاسع الميلادي فحسب بل يدلّ أيضا على المنزلة العالية الممتازة التي حظيَ بها العرب في كيرالا في ذلك العهد البعيد .

كان من نتيجة وجود هؤلاء العرب المستوطنين في كيرالا واختلاطهم بالسكّان المحليّين أنْ انتشرت اللّغة العربيّة انتشاراً واسعاً في أنحاء كيرالا وتغلغلتْ في حياة أهلها الثقافية والاجتماعية .

ومن الشواهد التي تدلُّ على رسوخ قدم اللّغة العربيّة في كيرالا ومكانتها الرفيعة عند أهلها وملوكها في القرون الوسطى مايُقال من أنّ الرسالة التي أرسلها ملك بُرتغال (portugal) الى سامُوتري (Zamorin) ملك كاليكوت (Calicut) وسلّمها فاسكو دي غاما البرتغالي إليه كانت مكتوبة باللّغة العربيّة . ويُلاحظ بهذه المناسبة أن الذي أرشد سفينة فاسكو دي غاما البرتغالي ورفاقه إلى كاليكوت بكيرالا في سنة ١٤٩٨ م هو ملاّح عربي شهير اسمه شهاب الدّين أحمد بن ماجد .

دراسة اللّغة العربيّة في كيرالا وتطوّرها

وفي أغلب الظّنّ ، أن دراسة اللّغة العربيّة في كيرالا بدأت منذ أوائل انتشار الإسلام فيها .

« الدّرس » في المساجد :

وفي قديم الزمان لم تكن في كيرالا مدارس وكُلّيات عربيّة كالتي نراها الآن .

---

(٥) KERALA SOCIETY PAPERS - (PUBLISHED BY KERALA SOCIETY, TRIVANDRUM) SERIES. 6 P. 323

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكانت المساجد هي المراكز التي تدرس فيها اللّغة العربيّة والعلوم الإسلامية . وكانت تُعقد فيها حلقات التعليم التي تُسمّى « درس »[٦] . و « درس » المساجد ظاهرة خاصة بكيرالا لا توجد في سائر أقطار الهند . وأكثر المساجد في كيرالا كانت تُجري « الدّروس » ولاتزال . وطريق « الدّرس » هو أن يجلس الأُستاذ في زاوية من زوايا المسجد ويجلس حوله الطُّلاب في شكل نصف دائرة أوْ شبه دائرة ويقرأ الأُستاذ الكتب الدّراسية العربيّة وينقلها إلى اللّغة المحليّة ، اي مليالم (Malayalam) ، ويكرّرُ التلاميذ كالببغاء ما يُلْقى عليهم من الدّروس حتّى يحفظوها عن ظهر القلب ، والله وحده يعلم أيفهمون ماذا قال الأُستاذ أمْ لا . ولا يكون منهج خاص للتعليم ولا صفوف معيّنة للطلاّب ، ولا كتب دراسية مقرّرة . ولا تُستعمل الأدوات والوسائل التعليميّة كالقاعد والمناضد والطّباشير والسّبورة والكراريس . وهكذا نرى انّ هذا التعليم منهجه ناقص مُتخلّف غير علميّ لا يتّفق مع الأساليب التعليميّة الحديثة . ويتبيّن لكم من هذا لِمَ نُسمّي هذا النّوع من التعليم في المساجد « درساً » لا « مَدْرسَة » .

من أشهر الدّروس في كيرالا ما كان قائماً في المسجد الجامع بفناني (Ponani[٧]) . والعُلماءُ الكبار كالمخدوم زين الدّين الكبير وزين الدّين الصّغير كانُوا يُعلمون في هذا « الدّرس » . وانتشر صيته في طول البلاد الهنديّة وعرضها ، بل في خارج الهند أيْضاً . وكان يتعلّم فيه إلى جانب طُلاّب من أقطار الهند

---

(٦) « درس » هذا كلمة عربيّة كما هو معروف . ولكنها تُستعمل أيضاً ككلمة ملينالية .

(٧) « فنان » (PONNANI) مدينة صغيرة في ملبيبار تُعدّ من أشهر المراكز الاسلامية في كيرالا . لأهمية هذا الموضع التاريخيّة والثقافيّة راجع

PROF. K.V. ABDUL RAHMAN[PONNANI-A BRIEF HISTORICAL ACCOUNT] IN M.E.S. BONNANI COLLEGE SOUVENIR, 1969 PP. 174, 175

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المختلفة طُلاّب أجانب من ملايو ، واندونيسيا ، وجاوا[٨] .

ويَبْدُو أنّ دُرُوس المساجد في أوّل عهدها كانت ذات منهج دراسيّ شامل يحتوي جميع العلوم والفنون الدّينية والعلمانية كالقرآن والحديث ، والفقه ، والتصوّف ،والأدب العربي ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، وجيوماتري (علم الهندسة) ، وعلم النجوم ، وعلم الحساب ، وعلم المنطق ، والفلسفة ، والطّب ، والتاريخ ، ولكن ، بمرور الزّمان ، تقلّص هذا المنهج الواسع وعاد مقصوراً على بعض العلوم اللّغوية والدّينيّة كالنحو والصرف ، والفقه . والكتُب الدّراسيّة التي تُستعمل فيه لا تتعدّى عادة ، ألفية ابن مالك ، وتفسير الجلالين ، وفتح المعين ، ومجموعة من الرسائل الصغيرة التي تُسمّى « بالكتُب العشرة » ومنهاج العابدين ، وارشاد العباد .

ومهما كانت عيوب منهج « درس » المساجد ، فلاَ نستطيع أن ننكر ماكان له من الفضل الكبير في إشاعة ، العلوم الإسلاميّة واللّغة العربيّة بين مُسلمي كيرالا ، وإبقاء الوعي الإسلاميّ والحماسة الدّينيّة في قلوبهم .

مولانَا الحاج كنُج أحمد الشالِلكَتّي وإصْلاحاتُه التعليميّة :

لم يزل التعليم الإسلامي والعربي في كيرالا في هذه الحالة ، حتى جاء في أوائل هذا القرن ذلك العالم النّابغ والمصلح الكبير المرحوم مولانا الحاج كنُج أحمد الشاللكتي (Chalilakathu kunji ahmad haji) (١٢٨٣ ـ ١٣٣٨ هـ) ، وقام بانقلاب جذري في منهج التعليم الدّيني والعربي في كيرالا[٩] . فبدأ أعماله

---

(٨) KERALA MUSLLM DIRECTORY. P. 305

(٩) لحياة كُنج أحمد الشّالكتي واعماله راجع

C.A. MUHAMMAD MOULAVI [MOULANA CHALILAKATHU KUNTJAHMAD HAJI] IN TIRURANGADI YATHEEMKAANA SILVER JUBILEE SOUVENIR. 1970 (MALAYALAM) PP. 41 - 48 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التجديديّة في « مدرسة تنمية العلوم » بوازكّاد (Vazhakkad) حيثُ عُيّن رئيس مُعلميها في سنة ١٩٠٩ م[١٠] .. وافتتح فيها صفوفاً عُليا وأخذ يدرّس موضوعات جديدة على منهج دراسيّ حديث علميّ فسُمّي المدرسة من جديد بكُلّيّة « دار العلوم »[١١] . ومن الموضوعات الجديدة التي أدخلها مولانا الحاج كنج أحمد في دار العلوم ، علم المنطق ، وعلم النجوم ، والجغرافيا ، والعلوم الرّياضية ، والعلوم الطبيعية ، الى جانب ما كان فيها قبلُ من العلوم الدّينيّة المتعارفة كتفسير القرآن ، والحديث النبوي ، والفقه والتصوّف ، وعلم المعاني والبديع ، وأستخدم لتعليم هذه المواضيع الجديدة ادوات ووسائل مستحدثة كالكرة الجُغرافيّة والخرائط ، والأطلس ، والجداول البيانيّة ، والصُّور الشمسيّة والنماذج (الموديلات) ، والمعاجم الحديثة[١٢] . وهكذا أحدث مولانا تغييراً كاملاً جوْهريّاً في مناهج « درس » وازكّاد .

وفي نفس الوقت الذي حاول فيه إصلاح دروس المساجد على هذا النحو ، كان يصرف اهتمامه إلى تجديد منهاج التعليم في المدارس الدّينيّة الابتدائية أيضا . وتحقيق هذه الغاية أسس مدرسةً عربيّة ابتدائيّة في وازكّاد على منوال حديث جذاب فاستخدم فيها الأدوات والعُدد ؛ كالسبُّورة ، والطّباشير ، والمقاعد ، والمناضد ، والكراريس ودفاتر الحضور . وألّفَ ونَشر للاستعمال في المدارس الابتدائية كُتُبا مدرسيّة على طريق مستحدثة علميّة طريفة .

---

(١٠) نفس المقالة لـ سي . اي . محمد المولوي ، ص ٤٦ . وانظر أيضا في

ISLAM IN KERALA BY SYED MOHIDEEN SHAH, P. 51

(١١) المقالة السّابقة لـ سي . اي . محمد المولوي ، ص ٤٦ .

(١٢) M. ABDULLA KUTTY [SAMBHAVA BAHULAMAYA JEEVITHAM] [MALAYALAM], IN K.M. MOULAVI SMARAKA GRATHAM [TIRURANGADI], PP. 77 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي جميع هذه الإصلاحات التعليميّة التي قام بها مولانا كُنج أحمد شاللكتي بوازكّاد ساعده وشدّ أزره تلميذه المحبوب المرحوم الشيخ كي . ا م . المولوى (K . M moulavi) الذي هو من أكابر زُعماء الحركة السلفيّة في كيرالا ورُوّادها[١٣] .

وهذه الإصلاحات التعليميّة آتت أُكلها في وقت قصير سريع فبلغت أصداؤها آفاق كيرالا فأقبل الناس على تأسيس المدارس الإسلاميّة في أصقاعها على المنهج الحديث الذي ابتدعه مولانا . وهكذا قامت في كيرالا حركة جديدة يمكننا أن نُسمّيها « حركة المدارس » (Madrasa movement)

على أنّ مولانا المرحوم قد لاقى في سبيل إصلاحاته المذكورة مخالفة شديدة ومعارضة عنيفة من أولئك العُلَماء الرّجعيّين المُتَنَطعين الذين يدّعُون أنّهم حُماة السُّنّة وهم ، في الحقّ ، مُحامو البدع والخُرافات . وكيف لا ، وَهُم الذين قالُوا : إنّ المنهج التعليمي الجديد الذي ابتكره مولانا بدْعة منكرة ، لأنّ إلقاء المعلم القائم الدّرس على الطُّلاّب الجلوس مُخالفٌ لتعظيم التلاميذ أساتذتهم ، وهم الذين قالُوا أيْضا : إنّ استعمال السبُّورَة والطباشير في المدارس كبيرة من الكبائر ، لأنّ المعلّم يكتب الآيات القُرآنيّة على السبُّورة بالطباشير ثُم إذا مسح السبُّورة سقطت ذرّاتُ الطّباشير التي كُتب بها القُرآن فيدوسها النّاس وهذا إهانة لكتاب الله وانتهاك لحرمته .

وَهكذا حاول هَؤلاءَ العلماء المحافظون أنْ يُوقفُوا سير الزمان . ولكن الزمان يأبى إلاّ السّير . والنهضة التي افتتحها مولانا كنج أحمد الشاللكتي تقدمت وسارت إلى الأمام سيراً نشيطاً حثيثاً حارت دونه قُوى الرّجعيّة والتقهقر ، فَتوّجت بالنجاح الكامل . وآلاف من المدارس والكُلّيات العربيّة التي نراها الآن في نواحي كيرالا تنطق جهراً بهَذه الحقيقة بلسان حالها .

---

(١٣) نفس المقالة لـ م . عبد الله كُنّي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تكاثر المدارس العربيّة :

قبل استقلال الهند كانت الحكومة البريطانية تُجيز التعليم الدّيني للطّلاب المسلمين في المدارس العامّة في مليبار . ولكن لمّا حصلت الهند على الاستقلال في سنة ١٩٤٧ م وأُعلِنَ بأنّها دولة علمانيّة (Secular state) ألغَتْ الحكومة الهنديّة التعليم الدّيني في المدارس العامة ، وعزلت منها مُعلّمي الدّين . على أنّ هذه الخطة الحكوميّة كان ظاهرها العذاب وباطنها الرّحمة . وبدلاً من أن تكون آفة تقضي على التعليم الدّيني صارت قُوّة دافعة نشّطت المسلمين ليُرتّبوا بأنفسهم ترتيبات لتعليم الإسلام واللّغة العربيّة لأطفالهم وأولادهم . ولذا أقبلت الأُمّة المسلمة على إنشاء المدارس العربيّة في كُلّ زاوية من زوايا كيرالا . هكذا تكاثرت وتعدّدت المدارس والكُلّيّات العربيّة في هَذه الولاية .

والفضل الأكبر في قيام هذه النهضة المباركة في مَجال التعليم الإسلامي والعربي يعود الى المنظّمات السّلفيّة كـ « ندوة المُجاهدين بكيرالا » ، و « جمعيّة العلماء بكيرالا » . وفي كيرالا نحو ٥٠٠ مدرسة سلفيّة ، ونحو عشر كُلّيّات عربيّة سلفيّة تُجريها إمّا « كيرالا ندوة المجاهدين » ، وإمّا « كيرالا جمعيّة العُلماء » . ومن الكُلّيّات العربيّة السلفيّة ما ينتسب إلى الجامعة ككُلّيّة « مدينة العلوم » ببُلكّل (Pulikkal) ، وكُلّيّة « سُلّمُ السّلام » بأريكوت (Areacode) ، وكُلّيّة « رَوْضَة العلوم » بفروق (Feroke) ، وكُلّيّة « أنصار الإسلام » بوَلَوَنّور (Valavannur) ، ومَا هو مستقل غير منتسب الى الجامعة ، كالجَامِعَةُ النّدويّة بأدونّا (Edavanna) . والخدماتُ الجليلة الضّخمة التي تؤدّيها هذه المعاهد العلميّة السّلفيّة وخرّيجوها في سبيل دعوة النّاس الى التعاليم الاسلاميّة السمحة الطّاهرة من المدنّسات كالبدع والخُرافات ، ونشر اللّغة العربيّة وثقافتها في أرجاء كيرالا تُكوّن فَصلاً ذهبياً باهراً من تاريخ النهضة الإسلاميّة في كَيرالا الحديثة .

ومن سُخْريّات التّاريخ أنّ العلماء الرّجعيّين المحافظين الذين كانُوا يُعارضُونَ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إصْلاح المدارس العربيّة ومناهجها التعليميّة باسم الدين نراهم الآن يتنافسون في إنشاء المدارس التي تُستعمل فيها السُّبُورة والطباشير والمقاعد . ومُنظَّمتُهم « سَمَسْتَ كيرالا جمعيّة العلماء » (Samastha kerala jamiyyathul ulama) تشرف الآن على أكثر من ٢٠٠٠ مدرسة عربيّة ، وعديد من الكُلّيات العربيّة . ولهم المقام الأوّل في عدد المدارس ، بيْنَ المُنظّمات الإسلاميّة بكيرالا . وأمّا في الجَودة والصّلاحيّة فمدارسهم دون مَدارس السَّلَفيّين .

و « الجماعة الاسلاميّة الهنديّة » (Jamaat-E-Islami of India) أيضا تشرف على عدد صالح من المدارس والكُلّيات العربيّة في كيرالا على نسق حديث جيّد .

دراسة اللّغة العربيّة في المدارس العلْمَانيّة :

والى الآن تحدّثنا عن الدّراسة العربيّة في المدارس والكُلّيات الدّينية الاسلاميّة في كيرالا . فأما المؤسسات التعليميّة العلمانيّة فتُعلّم اللّغة العربيّة وآدابها في كثير منها أيضاً فننظر الآن الى هذا الموضوع نظرة مجملة .

قبل الاستقلال :

قد تقدّم الحكومة البريطانيّة كانت تُجيزُ التعليم الدّيني في المدارس العامّة في مليبار التي كانت حينئذ جزءاً من ولاية مدراس (Madras) . وعيّنت المعلّمين لذلك في بعض مدارسها العامّة من سنة ١٩٠٤ م . وهؤلاء المعلمون كانوا يُعرفون بمُعلّمي القُرآن (Quran teachers) . ولم يُعلّموا اللّغة العربيّة لذاتها ، بل علّموها للطّلاب كجزء من تعليمهم القُرآن . وبعدئذ أخذت الحكومة تُعيّنُ مُعلمي اللّغة العربيّة في المدارس الثانوية . وأما المدارس الابتدائية في مليبار فلم يكن يُعيّن فيها معلّمو اللّغة العربيّة الاّ بعد تكوين ولايّة كيرالا في سنة ١٩٥٦ م .

وأمّا تراونكور (Travancore) التي كانت ولاية مستقلة حينئذ فأُدخلت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اللّغة العربيّة كموضوع دراسي في مدارسها العامّة في أوائل هذا القرن . فأخذت الحكومة تُعيّن في مدارس تراونكور مُعلّمي اللّغة العربيّة من سنة ١٩١٤ م . وعيّنت أيضاً مفتّشا للإشراف على الدّراسة العربيّة في المدارس العامّة باسم « المفتش المحمدي » (Mohamedan Inspector)[١٤] . وعلينا ان نذكر هنا السّعي المشكور الذي بذله ذلك العالم الجليل والمصلح الكبير المرحوم الشيخ المولوى وكم مُحمّد عبد القادر (Vakkam muhammad abdul qadir) (١٨٧٣ ـ ١٩٣٣ م) لانجاز هذا كله[١٥] .

وأمّا كوشن (Cochin) التي كانت ولاية مستقلة بذاتها فقد أدخلت العربيّة كموضوع دراسي في مدارسها العامّة في سنة ١٩٣٠ م . وهذا كان نتيجةً عن الجهود التي بذلها الزّعماء والمصلحون كالشيخ سيتي محمد (Seethi Muhammad) والشيخ الحاج منفّاد كنج مُحمد (Manappattu kunji Muhammad haji) والشيخ إى . كى . المولوى (E.k.mouloir) وكان الشيخ اى . كى . المولوي أوّلَ معلّم عربيّ في الخدمة الحكوميّة بولاية كوشن[١٦] .

بعد تكوين كيرالا الحالية :

وفي سنة ١٩٥٦ م جُمعت الوحدات الثلاث ، أي مليبار ، وتراونكور ،

---

(١٤) M. MUHAMMAD KANNU. (SAMUDAYO IFAYJA- KANAYA VAKKAM MOULAVI) (MALAYALAM), IN TIRUR-ANGADI YATHEEM KHANA SILVER JUBILEE SOUVENIR. 1970. PP. 113, 114.

(١٥) نفس المقالة لمحمّد كُتّي . وراجع أيضا

KERALA MUSLIM DIRECTORY. PP. 308, 309, 586 .

(١٦) KERALA MUSLIM DIRECTORY. P. 314, 315

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكوشن ، وكوُنت ولاية كيرالا الحالية . ومن ذلك الحين أخذت دراسة اللغة العربية تنشر بمزيد من السرعة في المدارس الابتدائية والثانوية في كيرالا .

وقد تقدّم أنّ المدارس الابتدائية في منطقة « مليبار » لَمْ يُعيّن فيها مُعلّمو اللّغة العربيّة في حين أنهم كانوا يُوظّفون في مدارس تراونكور وكوشن . وبعد تكوين ولاية كيرالا أجازت الحكومة تعْيين معلّمي العربيّة في المدارس الابتدائية في مليبار أيضا ، فضلا عن المدارس الثانوية التي لم يَزَلْ فيها مُعلّمو العربيّة . فاخذت الحكومة تُعيّن معلمي اللّغة العربيّة في كُلّ مدرسةٍ من المدارس الابتدائية والثانوية اذا كان فيها عدد مُعيّن من الطّلاب الذين يرغبون في دراستها . ولابد من أن نذكر هنا أنّ جميع الحكومات التي تعاقبت على كيرالا من حين الى حين ، مهما كان لونها السّياسي ، قد اعتنت بترقية دراسة اللغة العربية أشد الاعتناء ولا تزال . وهناك في كيرالا آلاف من المدارس الابتدائية والثانوية منها حكومية وغير حكومية ، تُدرسُ فيها اللّغة العربيّة كموضوع دراسي مُقرّر .

دراسة اللّغة العربيّة في الكُلّيات والجامعات :

ولا تزال اللغة العربيّة وآدابها تُدرّس في كثير من كليّات الفنون والعلوم في كيرالا منها حكوميّة ومنها غير حكوميّة منذ مُدّة لا تقل عن نصف قرن . ومن اوائل الكُلّيات التي قرّرت اللّغة العربيّة وآدابها كمادة دراسيّة فيها كُليّة الفارق بفروق (Farouk college, feroke) ، وكُلية مهاراجا بأوناكلم بكوشن -Mahra) (jas' college Ernaknlam, cochin ، وكلية يُونورستى بتروانـدرم (University (college, Trivandrum ، وكُليّـــة برنّن ، بتلشيرى (Bremen college (Tellicheery . وجعل عدد الكُلّيات التي تُدرس فيها اللّغة العربيّة وآدابها يزيد كُلّ سنة ، حتى بلغ الآن نيفا وأربعين . وتعلم اللغة العربية في هذه الكُليات كَلُغَة ثانية (Second language) او كموضوع رَئيسي لمُقرر البكالوريوس او الماجستير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد بلغت دراسة اللّغة العربيّة وآدابها غاية نموّها وتطوّرها لمّا افتتح قسم خاص لها في جامعة كاليكوت (University of calicut) في سنة ١٩٧٤ م ويتناولُ هذا القسم الجامعي تدريس اللّغة العربيّة في مستوى الماجستير والدّكتوراه . والى الآن قد حصل أربعةٌ باحثين على شهادة الدّكتوراه من هذا القسم .

ومما تقدّم يتضح لكم أنّ للغة العربيّة وآدابها مكانةٌ مرموقة ومنزلة رفيعة في كيرالا وان دراستها جزء لا يتجزأ من نظامها التربوي من المستوى الابتدائي الى مستوى الدّكتوراه وليس أدل على انتشار اللغة العربيّة وتطوّر دراستها في كيرالا منْ أنّ عدد معلمي اللّغة العربيّة في مدارسها وكلياتها العامّة يبلغ سبعة آلاف وعدد متعلميها فيها يبلغ خمس مائة ألف ، فضلا عن آلاف من المعلمين والمتعلمين في المدارس والكُلّيات العربيّة غيْر الرسميّة .

أدباء العربيّة وكُتّابُها في كيرالا ومؤلّفاتهم :

وجدير بنا أن نبحث عن إسهام كيرالا في مجال الادب العربي بحثا مجملاً .

فقد أنْجبَت كيرالا خلال القرون كثيراً من علماء العربيّة وأدبائها وكُتّابها . ومنهم من نالوا شهرة عالميّة كالمخدوم زين الدّين الكبير ، وزين الدّين الصغير . ويضيقُ بنا المقام عن ذكر جميع هؤلاء العُلَماء المؤلفين ومصنفاتهم . وانما نُورِدُ هنا أسماء أهمّ هؤلاء الأعلام ومؤلفاتهم[١٧] :

---

(١٧) لتفاصيل هذا الموضوع راجع

P. M. MUHAMMAD MOULAVI (KERALATHILAY ARABI GRAN THA KARAMMER) (MALAYALAM) IN KERALA MUSLIM DIRECTORY. PP. 452458

وانظر أيضا في المجلة « المُعَلّم » العربية التي تصدرها سمْت كيرالا جمعيّة العلماء . مجلد ٥ عدد ٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١) الفقيه حُسَيْن بن أحمد دَهْتَنى :

وقد وَرَدَ في رحلة ابن بطوطة أنّه لما زار « ملِيبار » في النصف الأوّل من القرن الرّابع عشر الميلادي (من ١٣٤٢ الى ١٣٤٧ م) لقي بدهفتن (دَهْمَدَم (Dher madam) الحالية القريبة من مدينة تَلَشَيرى) رجلا اسمه الفقيه حُسين بن أحمد الذي كلمه باللغة العربيّة . وفي كيرالا كتاب مُتداول بين العلماء يبحث مسائل النكاح وأحكامه وهو مطبوع بكيرالا مراراً اسمه « القَيدُ الجامع » واسم مصنفه الفقيه حُسين بن أحمد . ومن المحتمل أن يكون هَذا الرجل هو الفقيه حُسين بن أحمد الذي لقيه ابن بطوطة قبل ستمائة سنة . فاذا يكون « القيد الجامع » أقدم كتاب عربي صنفه رجل كيرليّ .

(٢) الشيخ الإمام فخر الدّين أبو بكر بن رمضان(☆) قاضي كاليكوت المتوفى سنة ٨٨٥ هـ . وله كتابان : « تخميس البردة » و « تخميس بانت سُعاد » .

(٣) الشيخ المخدوم الكبير ابو يحيى زين الدّين(☆☆) بن علي بن أحمد المعبري الفنساني (٨٧٢ ـ ٩٢٨ هـ)

من مصنفاته :

١) مُرْشد الطلاب ـ وهو كتاب مُفيد جداً في التصوّف وطبع في مليبار .
٢) سراج القُلوب وعلاج الذنوب ـ وهو في التصوف والوعظ . وطبع في فنان (Panani) .
٣) كفاية الفرائض في اختصار الكافي في الفرائض للإمام الصردفي رحمه الله .

(☆) لفخر الدين ترجمة في كتاب : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة عبد الحي الحسني ٣ : ١١٥ ـ ١١٦ [لجنة المجلة]

(☆☆) لزين الدين ترجمة في كتاب : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة عبد الحي الحسني ٤ : ١١٨ ـ ١١٩ [لجنة المجلة]

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٤) المُسعد في ذكر الموت ـ وهو في الوعظ والتذكير .

٥) شمس الهُدى ـ وهو أيضا في الوعظ والتذكير ولم يتم الكتاب .

٦) تُحفة الأحبّاء وحرفة الألبّاء ـ وهو في الأذكار والدّعوات الواردات عن النبي ﷺ .

٧) إرشاد القاصدين في اختصار منهاج العابدين للإمام الغزالي ـ وطبع في فنان .

٨) شعب الايمان المعرّبة من شعب الايمان الفارسيّة للعلاّمة السّيد نور الدّين الأيجي ـ وطبع في فنان . وهذا الكتاب يدل على أنّ الشيخ زين الدّين الكبير كان عالماً باللّغة الفارسية ايضا .

٩) كتاب الصّفا من الشّفا اختصره من كتاب الشفا للقاضي عياض المالكي . ولم يتمه .

١٠) تسهيل الكافية في شرح الكافية لابن حاجب وهو في النحو .

١١) حاشية مختصرة على الخلاصة ألفية ابن مالك . وأدركته المنيّة قبل إتمامها . فأتمها ابنه عبد العزيز المعبري الفنّاني .

١٢ ، و ١٣) حاشيتان لّهُ على تحفة ابن الوردي .

١٤) وحاشية وافية على الارشاد لابن المُقْرئ .

١٥) ولّهُ ايْضا مصنف في قصص الأنبياء . وصل فيه الى قصة داود عليه السلام . ابتداءً من قصة آدم عليه السلام .

١٦) ومصنّف في سيرة النبي ﷺ ولم يتمه وادركته المنيّة .

وكان المَخْدوم زين الدّين الكبير شاعراً أيضاً . ومن أعماله الشعرية :

١٧) تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصّلبان ـ وهذه قصيدة لّه يصف فيها دخول البرتغاليين في مليبار ومظالمهم ويحرّض فيها مسلمي مليبار على جهاد البرتغاليين واجلائهم من ساحل مليبار .

١٨) وهداية الأذكياء الى طريق الأولياء . وهذه منظومة في التصوّف وهي متداولة في ملايو وبعض البلاد العربيّة . وطبعت في مليبار ومصر . وأُلّفتْ عليها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شروح عديدة منها « مسلك الأتقياء ومَنْهج الأصفياء » للشيخ عبد العزيز بن زين الدّين الكبير « وإرشاد الألباب » للشيخ عبد العزيز نفسه

١٩) وقصيدة لَهُ فيا يورث البركة وينفي الفقر مأخوذة من كتاب البركة للوصابي رحمه الله .

(٤) الشيخ المخدوم عبد العزيز بن الشيخ زين الدّين الكبير : وقد تقدم ذكر بعض كتبه .

(٥) الشيخ المَخْدوم الصّغير أحمد زين الدّين ابن الشيخ محمد الغزالي المعبري الفناني : وهو حفيد الشيخ زين الدّين الكبير . ومن مؤلّفاته المشهورة في الآفاق :

١) قُرّة العين بُمهات الدّين ـ وهذا مختصر في المسائل الفقهية على المذهب الشافعي .

٢) وشرح هذا الكتاب المصنف نفسه شرحا وجيزاً باسم « فتح المعين بشرح قُرّ العين » . وهذا كتاب مشهور في الفقه الشافعي وهو متداول في كثير من البلاد العربيّة ، وجاوا ، واندونيسيا ، والملايُو ، وطبع في فنان وسنغافور ، ومصر . وقد أُلّف على هذا الكتاب شروح كثيرة منها « ترشيح المستفدين » للسّيد أحمد علوتي السقاف وإعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (في أربعة أجزاء) للسيد أبو بكر البكري ابن السيد محمد شطا الدّمياطي ، و « نهاية الزّين » لمحمد نووي الجاوي .

٣) وتُحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتُكاليّين . وهذا كتاب جليل عديم المثال ذو شهرة عالميّة يذكر أخبار انتشار الاسلام في ديار مليبار والأحداث بعد دخول البرتغاليين . وترجم إلى عدّة لُغات عالميّة .

٤) وارشاد العباد ـ وهو في التصوّف .

٥) واحكام احكام النساء .

٦) ومختصر شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور اختصره من كتاب للإمام السيوطي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٧) والأجوبة العجيبة عن الأسئلة الغريبة ، وهي مجموعة فتاوى في المسائل الفقهية .

٨) والفتاوى الهنديّة .

(٦) الشيخ العلامة عثمان بن جمال الدين المعبري الفنانيوهو معاصر العلامة عبد العزيز المعبري . ومن مؤلفاته شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام في النحو .

(٧) محمد بن القاضي عبد العزيز :وكان قاضي كاليكوت ومعاصر المخدوم زين الدين الصغير وله قصيدة اسمها « فتح المبين » وهي في مجيء البرتغاليين إلى مليبار وأخبارهم .

(٨) القاضي عُمر بن علي البلنكوتي : ومن مؤلفاته :

١) مقاصد النكاح . وهي منظومة في أحكام النكاح ومسائلها .

٢) ونفائس الدُّرر . وهي قصيدة طويلة في مختلف المواضيع .

٣) وكتاب الذبح والاصطياد .

٤) والقصيدة العُمَرِيّة في المدائح النبويّة ، ولَهُ أيضا عدّة قصائد أخرى في مدح النبّي ﷺ

(٩) السيّد علوي المَنْفَرَمي : عاش قبل مائة سنة . ولَهُ كتاب اسمه « السيف البتّار » يحرّض فيه الناس على الحكومة البريطانيّة في الهند .

(١٠) السّيد جِفْري المفرمي : وهو ابن السّيد علوي المذكور آنفا . ولهُ كتاب اسْمه « كنز البراهين » .

(١١) الشيخ عبد الرحمن تانوري .

(١٢) أحمد شيرازي : وكان مُدرسا بنادافُرم ، وتُوفي قبل سبعين سنة ، ولَهُ شرح لِفتح المعين ، ومنظومة اسمها « إهداء الدُرر في رَد عُمر » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأمّا في العصر الحديث فهناك كثيرون يكتبون باللغة العربيّة . ومنهم المرحوم الشيخ كي ام . المولوي « الكاتب » والشيخ كي . بي . محمد المولوي ، والمرحوم الشيخ المولوي وكّم محمد عبد القادر والمرحوم الشيخ محمد المولوي ، والقاضي الكبير السّيد شهاب الدّين امْبشى كُويَا . والشيخ عُمر أحمد المليباري . والشيخ محيي الدّين الآلوائي الازهري ، والشيخ محمد الكتشيري ، والشيخ عبد الحميد المديني ، والدّكتور عبد الله الازهري ، والشيخ عبد العزيز المنقادي ، وكاتب هذه المقالة المُتواضع .

وانّ كيرالا قد أنجبت شعراء في العربية مفلقين كثيرين - وانما أذكر هنا أسماء أهم هؤلاء الشعراء بلا بيان تاريخ حياتهم وأعمالهم الأدبية[١٨] . ومن شعراء الجيل القديم الشيخ المخدوم زين الدين الكبير ، والمولوي محمد ابن القاضي عبد العزيز الكاليكوتي ، والقاضي عمر بن علي البلنكوتي ، وقد تقدم ذكر جميع هؤلاء .

ومن شعراء الجيل الحديث المولوي عبد القادر الفَضْفَري ، وكُنَجْي أحمد مُيليار الفروري ، والمولوي عبد الله النوراني ، والمولوي أبو ليلى محمد بن ميرات (مي.وي) ، والمولوي كُنْجِ أحمد الكَدوتوري ، والمولوي أبو سلمى كي كي ام . جمال الدين والمولوي محمد الفَلكي والمولوي علي بن فريد الكوشنوري ، والمولوي ابو بكر . سي . في ، والمولوي محمد ابو الصلاح . يم ، والمولوي ابو بكر . اي ، والمولوي أبو بكر الحكيم ، والمولوي ان . كي . أحمد الكدوتوري

---

(١٨) للتفاصيل راجع المقالة « الأشعار العربيّة لشُعراء كيرالا وتطوراتها » قدّمها الأستاذان . كي . أحمد المولوي (N.K AHMAD MAWLAVI) في الندوة عن « مُشاهمة الهند الجنوبيّة في الأدب العربي » انعقدت في جامعة كاليكوت (UNIVERSITY OF CALICUT) في يناير ١٩٧٧ م .

د . أحمد كتي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net